جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي

عنوان المحاضرة: السفاح ومهمة القضاء على العناصر المناهضة

أسم التدريسي : أ.د. صباح جاسم حمد

الإيميل الجامعي للتدريسي : sabah_jasim@tu.edu.iq

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد

أبو العباس السفاح ١٣٢ هـ- ١٣٦ هـ

صفاته وبيعته: أعلنت الخلافة العباسية في الكوفة فكانت تحيط بها الكثير من الأخطار والتحديات، وذلك لأن بعض المدن المهمة لاتزال معقلا حصينا للأمويين ولم تعلن الولاء والطاعة للخلافة الجديدة. هذا بالإضافة الى ظهور نزعة استقلالية في بعض الأقاليم للانفصال عن جسد الدولة العباسية. فضلا عن ظهور حركات تمرد وإعلان ثورات في أقاليم ومدن أخرى تعارض تولي العباسيين للحكم أو لتحقيق مصالح شخصية. لذلك كانت مهمة الخليفة العباسي الأول شاقة وعسيرة. اذ وجب عليه أن يثبت أقدام العباسيين في الحكم أمام كل هذه التحديات. وقبل الخوض بتفاصيل تلك الأحداث علينا أن نقف أمام سيرة هذا الخليفة الذي واجه كل تلك العقبات وكيف تصدى لها ليؤسس خلافة إسلامية امتدت لقرون طويلة.

فهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الملقب بالسفاح. ولد عام ١٠٥هـ في الحميمة بالشام ونشأ فيها. ويلاحظ وجود تشابه بين اسمي السفاح والمنصور (عبد الله بن محمد بن علي) مما دفع المؤرخين الى تلقيب الخليفة بعبد الله الأصغر نظرا لأنه أصغر سنا من أخيه أبي جعفر المنصور.

بويع للسفاح بالخلافة صبيحة يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول لسنة ١٣٢ هـ، وألقى خطبة في مسجد الكوفة على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، ونددد بالأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين الذين ساندوا الثورة بزيادة أعطياتهم، ومما جاء في خطبته : (يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمكم علينا، وقد زدت أعطيتكم مائة درهم فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح والثائر المبير).

كان السفاح مقيما بالكوفة، ويبدو انه أدرك وضعها الصعب بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للدعوة العباسية الذين كانت أهوائهم مع الطالبيين، فانتقل منها الى مكان قريب يدعى

هاشمية الكوفة، غير انه لم يمكث فيها طويلا وانتقل الى الأنبار على الفرات عام ١٣٤ هـ، وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار.

الأوضاع الداخلية في عهد السفاح

حين تسلم العباسيون الخلافة اتخذوا لأنفسهم طريقا ومنهجا معتدلا بحيث لا يثير أي طرف من الأطراف المشاركين في الثورة مستندين على وصية أبي هاشم الى محمد بن علي العباسي. وعندما اعتلى السفاح الخلافة حاول خلق جو من الوفاق الودي الهاشمي (العباسي والعلوي) في فترة حكمه القصيرة لكي يثبت أقدامالعباسيين في الحكم ويوطد أركانهم، وأول ما بدأ به هو القضاء على أعقاب الأمويين الذين لم ينج منهم سوى عبد الرحمن الداخل الذي هرب وأسس الدولة الأموية في الأندلس، ثم تخلص من بعض القادة الذين ظهرت منهم بوادر انفصالية كأبي سلمة الخلال وغيره.

ثم اتخذ خطوة أخرى في غاية الأهمية بأن استعان بإخوته وأعمامه وأبناء إخوته لتثبيت نفوذه من خلال إشراكهم في الأمر حتى لا يستأثر القواد والدعاة بالأمر دونهم ومن ثم تصبح عملية نقل السلطة تدريجيا الى البيت العباسي سهلة وبدون مشاكل، ولذلك عين عمه سليمان بن علي واليا على البصرة، وعمه إسماعيل بن علي على الأهواز، وعمه داود بن علي على الحجاز واليمن، وعمه عبد الله بن علي واليا على حرب مروان، وأخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيره.

ورغم ذلك فقد واجهت الخلافة العباسية الكثير من التحديات يمكن إجمالها على صعيدين: الأول جبهة العراق والمتمثلة بوجود مدن مهمة لم تفتح بعد كواسط والبصرة. والجبهة الثانية تمثلت بظهور الكثير من حركات التمرد والتي عرفت باسم المبيضة لارتدائها اللباس الأبيض المغاير للباس العباسيين الأسود.

١- حصار واسط ومقتل ابن هبيرة

بعد أن فقد الأمويون معاقلهم الحصينة وتمكن العباسيون من السيطرة على الكوفة وإعلان خلافتهم لم يبق للأمويين بعد تلك الوقائع من قوة سوى يزيد بن هبيرة الفزاري الذي كان واليا على العراق، مما دعا السفاح الى إرسال أخيه أبي جعفر لقيادة الحصار المضروب على ابن هبيرة الذي انسحب بجيوشه وتحصن بواسط، ورفض الاقتراح بالهجوم على الكوفة، كما

رفض الالتحاق بجيش مروان. وكان الحسن بن قحطبة قائدا للجيش الخراساني، ولكن الخليفة السفاح رأى من الأفضل إرسال قائد عباسي هاشمي لقيادة الجيش. فكتب بعزل الحسن وأرسل أخاه أبا جعفر للقيادة.

كان جيش ابن هبيرة كبيرا يتكون من جند الشام الموجودين في العراق ومن أهل خراسان الموالين لبني أمية، ومن أهل العراق اليمانيين والقيسيين، وفيه من القواد البارزين أمثال معن بن زائدة الشيباني، وحوثرة بن سهيل، وزياد الحارثي وغيرهم. وكانت واسط شديدة التحصين فعمل أبو جعفر على إحداث نفرة داخل نسيج جيش ابن هبيرة مستغلا العصبية القبلية التي كانت سائدة آنذاك فتمكن من كسب اليمانية في واسط وأغراهم بكل السبل، فانشق زياد الحارثي مع القبائل اليمانية ومعه شيوخ آخرون استمر حصار العباسيين على الجيش الأموي أحد عشر شهرا، ولم يفكر ابن هبيرة بالاستسلام حتى سمع نبأ نهاية مروان فلم يبق مبرر للمقاومة. فجرت محادثات الصلح بين الطرفين. ويقال إن ابن هبيرة شاور الفقهاء والعلماء أربعين يوما حتى يرى نقاط القوة والضعف فيه، ثم وافق عليه وأرسله الى أبي جعفر لأخذ موافقة الخليفة عليه. على ان السلطة العباسية لم تكن لتحتمل ذلك القائد والوالي ذا النفوذ القبلي الكبير والذي كان يعامل أبا جعفر وكأنه مساويا له من المنزلة، وكان موكبه كقائد أعلى للجيش مهيبا ويحيط به في ذهابه وإيابه ٨٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجلا.

أمر السفاح بقتل ابن هبيرة، وتمنع أبو جعفر وربما أراد أن يكسبه للدولة الجديدة مبديا إعجابه بشخصيته العسكرية ومقاومته الباسلة في سبيل دولته فقال: (عجبا لمن يأمرني بقتل مثل هذا). إلا أن السفاح أصر على إنفاذ أمره وقتل ابن هبيرة. وقد تعددت الروايات التاريخية في الأسباب التي دفعت السفاح الى ذلك. فمنهم من رأى انه كان بتحريض من أبي مسلم الخراساني الذي قال يوما للخليفة: (لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة))، ومنهم من قال: ان السفاح يرى إن إبقاء هذا القائد يعني بقاء الحكم الأموي وقد تردد أبو جعفر كثيرا في قتله وقال: (لا أفعل وله في عنقي بيعة وأمان، فأجابه السفاح: (والله لتقتلنه أو لأبعثن اليك من يخرجه من عندك ويقتله).

وبناء على ذلك لم يجد أبو جعفر من بد سوى إنفاذ أمر الخليفة. وهكذا قضى العباسيون على أهم جيب من جيوب الدولة الأموية في العراق وسقطت واسط. وواضح أن الخليفة رأى في ابن هبيرة خطرا على الدولة الجديدة، وكان ابن هبيرة بطلا شجاعا جوادا فصيحا بليغاً

٢ – استسلام البصرة

لم يبق أمام الجيش العباسي سوى مدينة البصرة. فزحفوا اليها فما كان من أهل المدينة سوى مقاومتهم والحيلولة دون تمكنهم من السيطرة عليها. رغم الفارق العددي بين الجانبين. وقد عمد مسلم بن قتيبة الباهلي للاعتصام داخل المدينة ودافع عنها بصفته الوالي الأموي، وظل صامدا فيها ولم يسلمها للعباسيين حتى علم بانسحاب مروان واندحاره وكذلك بمقتل ابن هبيرة وسقوط واسط، وحينئذ علم انه لا جدوى من المقاومة، فترك البصرة وسار نحو الحجاز. وعين العباسيون بدله أحد الهاشميين واليا عليها. وبهذا سيطر العباسيون على البصرة واستطاعوا أن يقضوا على فلول الأمويين ومراكزهم الحصينة في العراق والشام.